



IRAQI
Academic Scientific Journals



العراقية
المجلات الأكاديمية العلمية

Journal of historical & cultural studies

(Online)2663-8819 E- ISSN:-(Print) 3-1116٢2 ISSN:

Journal Homepage: <http://jhcs.tu.edu.iq>

مجلة الدراسات
التاريخية والحضارية

المتغيرات السياسية وانعكاسها على نظام العطاء في العصر الاموي

اسم الباحث/ة (١): أ.م.د. نازدار عبدالله محمد

الدرجة العلمية: دكتوراه

التخصص العلمي: تاريخ

مكان العمل: المديرية العامة لتربية نينوى / وحدة الاشراف الاختصاصي

ملخص البحث عربي:

تناولت الدراسة نظام العطاء في الإسلام، والاسس التي اعتمدتها الخلافة الراشدة في تقرير وتوزيع العطاء على المسلمين وفق نظام التسوية والتفصيل، الا أن معايير ذلك اختلفت في عهد الخلافة الاموية التي اعتمدت الولاء والطاعة، اساساً لفرض العطاء، بما كان له انعكاس على مجمل نواحي الحياة السياسية والعسكرية والاقتصادية، تضافرت لأسقاط الخلافة الاموية.

الكلمات المفتاحية: الولاء ، الديوان ، العطاء ، الطاعة ، المتغيرات

The Political variables and their reflections on the Granting system in the Umayyad era

Name of The Researcher(1): Nazdar Abdullah Mohammed

Degree: Dr

Scientific specialization: history

Place of work: General Directorate of Nineveh education / specialized supervision unit

Abstract

The current study tackled the granting system in Islam and the principles the Rashidi Caliphate adopted in recognizing and distributing the grants to Muslims in accordance with the order of equality and distinguishing. But the criteria adopted differed in the Umayyad caliphate era as it considered loyalty and obedience as a basis for the grants given and that had an effect on all the aspects of the political, military and economic life, that were all came together and led to the fall of the Umayyad caliphate.

Keywords: Loyalty, Divan, grant, obedience, variables

Received: الاستلام

Accepted: القبول

Available Online: النشر المباشر July/ 2024

المقدمة:

خصص الرسول(ص) للمسلمين عطاءً لهم مما يرد على الدولة من موارد، توزع عليهم بالتساوي، أسفرت ذلك في عهد خليفته أبو بكر الصديق (رض)، وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب(رض)، بدأت واتسعت الفتوحات في العراق والشام ومصر، وانهالت الأموال من الغنائم على المدينة المنورة، فصعب عليه توزيعها، فأشير عليه بالديوان، وهو سجل يثبت فيه أسماء المسلمين، يستلمون بموجبه، عطائهم سنوياً ورازقهم شهرياً، ويوزع عليهم العطاء بالتساوي حتى سنة ٢٠هـ/٦٤٠م ، حيث قرر عمر توزيع العطاء على التفضيل وفق الأسس التي قررها، واستمر ذلك الى خلافة الامام علي(رض)، حيث أعاد التسوية، وتوزيع العطاء اكثر من مرة في السنة.

وبوصول الامويين الى الخلافة بعد تنازل الامام الحسن (ع) عنها لمعاوية، أحدث متغيرات على مجمل الأوضاع، سياسياً واقتصادياً وعسكرياً، اذ لم يتمكن الامويون من فرض شرعيتهم على عموم المسلمين الذين شككوا في هذه الشرعية، وكرد فعل من الخلفاء الامويين، لجأوا الى استخدام الديوان والعطاء اسلوباً للضغط على الاتجاهات المعارضة، فرضاً للولاء والطاعة، الا ان هذه السياسة لم تسفر عن ما أستهدفه الامويون، بل كان لها انعكاس على موقف المسلمين العرب من التسجيل في الديوان لقلة مردوده الاقتصادي فضلاً عن عزوف المسجلين من المقاتلة عن القتال ، فمنيت الجيوش بالهزائم، فضلاً عن انهم اصبحوا مادة لكل الثائرين، طالما يمنوهم بالتسجيل في الديوان وزيادة العطاء، فألت الأمور الى مشاركة الفئات المحروقة في اسقاط الخلافة الاموية.

التمهيد:

كان المسلمون في عهد الرسول (ص) وخليفته أبو بكر الصديق (رض)، (١١-١٣هـ/٦٣٢-٦٣٤م) يقاتلون دون عطاء مقرر وثابت اذ((لم يفرض النبي (ص) ولا أبو بكر (رض) لهم عطاءً مقررًا، لكن كانوا اذا غزو وغنموا أخذوا نصيباً من الغنائم قررته الشريعة لهم)) (١)، وبهذا لم يكن له وقت معين و لامقدار معين (٢) واختص بذلك المقاتلة فقط، وذلك لقلة موارد الدولة (٣)،

وكان المتتبع أن يوزع العطاء بالتسوية، إلا ان الرسول (ص) ((كان يعطي المتزوج مثلي الاعزب لما عليه من أعباء وتكاليف إضافية (٤)، وكان أبو بكر الصديق (رض) ، ((يسوي بين الناس في القسم، الحر والعبد والذكر والانثى، والصغير والكبير فيه سواء)) (٥).

وفي خلافة عمر بن الخطاب (رض) (١٣-٢٣هـ/٦٣٤-٦٤٣م) ازدادت موارد الدولة إثر حركة الفتوحات الواسعة في العراق وبلاد الشام ، بما سمح للخليفة من تقرير راتب سنوي (العطاء) سنة (١٥هـ/٦٣٦م)، وتسجيل المقاتلة في الديوان (٦)، إذ قرر نتيجة كثرة الأموال إلى جمعها وتوزيعها كعطاء سنوي على المسلمين ففي رواية أشارت أن عمر (رض)، ((لما فتح الله عليه، وفتح فارس والروم جمع أناساً من أصحاب رسول الله (ص)، فقال : ما ترون ؟ فأني أرى أن أجعل عطاء الناس في كل سنة واجمع المال فإنه أعظم للبركة ففرض (العطايات)) (٧)،

والتزم عمر (رض) بسنة الرسول (ص) وسياسة خليفته أبوبكر الصديق (رض) في اتباع التسوية في العطاء بين الناس (٨)، إلا أن كثرة الأموال الواردة إلى المدينة من الأقاليم التي أصبحت تابعة لسيادة الخلافة (٩)، واعترض بعض الصحابة على نظام التسوية ومساواتهم بالعطاء مع المسلمين الجدد (١٠)، أدت إلى توصيل عمر (رض) إلى نظام جديد في توزيع العطاء استند إلى التفضيل وذلك سنة (٢٠هـ/٦٤٠م)، وقد اعتمد الخليفة عدة أسس في تقديره لعطاء المسلمين ، في مقدمتها السبق في الإسلام وحضور المشاهد الأولى إذ ((فرض لأهل الديوان فضل أهل السوابق والمشاهدة في الفرائض)) (١٢)، ثم قدر عطاء الآخرين استناداً إلى مآثرهم وخروجهم إلى الجهاد وحاجتهم، إذ قال عمر (رض) ((ما أحد إلا وله في هذا المال حق وما أنا فيه إلا كأحدكم ولكننا على منازلنا من كتاب الله وقسمنا من رسول الله (ص) فالرجل وتلاده في الإسلام ، والرجل وقدمه في الإسلام ، والرجل وغناؤه في الإسلام، والرجل وحاجته في الإسلام)) (١٣).

فضلاً عن ذلك فرض عمر (رض) لأهل الديوان، الارزاق العينية والكسوة، من الجزية التي فرض على أهل الذمة (١٤)، فأنشئت دور الرزق في المدينة والامصار لغرض حفظ المواد ريثما يتم توزيعها (١٥).

أقر الخليفة عثمان بن عفان (رض) (٢٤-٣٥هـ/٦٤٤-٦٥٥م) (١٦)، الأسس السياسية والاقتصادية التي أرساها سلفه وكتب إلى الأمراء والاجناد بذلك (١٧)، إلا أن تغير الظروف لاسيما في النصف الثاني من خلافته، إذ خفت حروب التحرير، وقل وارد الغنائم، واقتصرت موارد المقاتلة على العطاء والارزاق، وهذا في حين ازدادت الهجرة إلى الامصار وكثُر من ردف إليها (١٨)، فكان ذلك مدعاة لزيادة التذمر في صفوف المقاتلة، وذلك لعدم كفاية العطاء، بعد أن تعود رجال القبائل كثرة الأنفاق، فصعب عليهم الوضع الجديد (١٩)، ويحدد الطبري الفئات المتضررة من سياسة عثمان (رض)، بقوله ((إن الذين لا سابقة لهم ولا قدمه، لا يبلغون أهل السابقة و القدمة في المجالس والرياسة والحظوة، ثم كانوا يعيبون التفضيل ويجعلونه جفوة، وهم في ذلك يختفون به ولا يكادون يظهرونه لأنه لا حجة لهم والناس عليهم، فكان إذا لحق بهم لاحق من ناشئ أو أعرابي ، أو محرر استحل كلامهم، فكانوا في زيادة، وكان الناس في نقصان، حتى غلب الشر)) (٢٠).

أسفر عدم التوصل إلى تسوية بين الخلافة والفئات المتزمنة من الجند لاسيما الروادف (٢١)، إلى قدوم المتزمرين من مقاتلة الكوفة والبصرة معصر إلى المدينة ، وضربوا الحصار على دار الخليفة رفض طلبهم ((ولكي لا تكون سنة بعده، إذ كلما كره قوم خليفتهم خلعه أو قتلوه)) (٢٣)، فكان أن تجرأ الجند على قتل الخليفة عثمان (رض)، سنة (٣٥هـ/٦٥٥م) (٢٤).

تولى الإمام علي بن أبي طالب (رض) الخلافة (٣٥-٤٠هـ/٦٥٥-٦٦٠م) في ظروف قلقة، إذ بايعه الجند بقولهم ((يا أبا الحسن إننا قد بايعناك على إن عملت فينا كما عمل عثمان قتلناك، فقال علي اللهم فنعم)) (٢٥)، وقد أشار الإمام علي (رض) إلى سياسته المالية بقوله ((قد كنت كارهاً لأمركم فأبيتم إلا أن أكون عليكم ألا وانه ليس لي أمر دونكم، إلا أن مفاتيح مالكم معين ألا وانه ليس لي أن آخذ منه درهماً دونكم، رضيتم؟ قالوا نعم)) (٢٦)، فأتبع في توزيع العطاء نظام التسوية (٢٧)، تعددت عطايه في السنة الواحدة، إذ ذكر ((أن علياً أعطى العطاء في سنة ثلاث مرات)) (٢٨)، واستمر في ذلك على الرغم من اعتراض بعض الفئات من جنده على مساواتهم مع الموالي (٢٩)، إلى تاريخ وفاته سنة (٤٠هـ/٦٦٠م) (٣٠).

وفي خلافة الحسن بن علي (رض) (٤٠-٤١هـ/٦٦٠-٦٦١م) (٣١)، زاد في أعطيات الجند مائه مائه (٣٢)، إلا أن تركيبة جيشه وعدم انسجامها كما يصفها ابن الصباغ ((معه أخلاط من الناس، بعضهم من شيعة أبيه وشيعة أبيه (عليه السلام)، وبعضهم من المحكمة الذين يودون القتال، قتال معاوية بكل حال، وبعضهم من أصحاب طمع في الغنائم، وبعضهم أصحاب عصبية أتبعوا رؤسائهم ورؤساء قبائلهم لا يرجعون إلى شيء)) (٣٣)، وهذه الظروف هي التي جعلت الحسن عازفاً عن القتال وزاهداً بالخلافة، مما دعاه للتنازل عنها إلى معاوية (٣٤)، بعد سبعة أشهر من خلافته حقناً لدماء المسلمين (٣٥).

- سياسة العطاء في العصر الأموي

تولى معاوية بن أبي سفيان الخلافة (٤٠-٦٠هـ/٦٦١-٦٨٠م) (٣٦)، مفقداً إجماع الأمة على خلافته، إذ مثل العراق وهو أكبر قاعدة للجند مركز المعارضة (٣٧)، فضلاً عن الحجاز موطن الصحابة، ومن أعتقد بعضهم أنهم الأحق بالخلافة، وإن معاوية يفتقد لشروطها (٣٨)، وهذا ما حفز معاوية لاستحداث (الجبرية) القائمة على المشيئة الإلهية في اختياره خليفة في مواجهة معارضيهِ (٣٩)، إلا أن ذلك لم يحقق له الشرعية وإجماع الأمة، ولغرض تحقيق ذلك لجأ معاوية إلى الأسلوب الاقتصادي للضغط على المعارضة، فضلاً عن تولية ولاية اكفاء اتسموا بالشده على الأمصار المخلفة لا سيما في العراق والحجاز (٤٠).

أسس العطاء في العصر الأموي

وضع الخليفة عمر (رض) الأسس التي يتم وفقها توزيع العطاء على المسلمين، كالسابقة في الاسلام، والغناء والحاجة إلا أن تطورات المجرىات السياسية التي تمثلت بوصول معاوية إلى منصب

الخلافة بفعل القوة العسكرية عاصفاً بكل السوابق التاريخية، افرز معارضة واسعة لخلافته توجب عليه استحداث أسس جديدة، معيارها الولاء والطاعة متجاوزاً في ذلك الأسس التي اعتمدتها عمر(رض)، واستناداً الى ذلك قدرت مقادير العطاء استناداً الى الولاء للخلافة الأموية و الإخلاص لها والدفاع عن بقائها واستمرارها، فقد فضل معاوية (من شارك معه في صفين وجعلهم في شرف العطاء اذ فرض لكل منهم (٢٠٠٠) درهم في السنة (٤١)، وتمتعت قبائل الشام، لاسيما اليمانية، بهذا الامتياز في عهود الخلفاء المتعاقبين، إذ ((أشترط حسان بن مالك، كان رئيس قحطان وسيدها بالشام، على مروان ما كان له من الشروط على معاوية وابنه يزيد وابنه معاوية بن يزيد، منها أن يفرض لهم لألفي رجل الفين الفين، وان مات قام أبنه او ابن عمه مكانه.... فأجابه مروان الى ما سأل)) (٤٢)، وقاتل اليمانية على مكانتهم و امتيازاتهم، إذ ثاروا على الخليفة الوليد بن يزيد (١٢٥-١٢٦هـ/٧٤٣-٧٤٤م)، لحرمانهم من العطاء وتقدير القبائل القيسية (٤٣)، وقتلوه، وبايعوا ليزيد بن الوليد بالخلافة (١٢٦هـ/٧٤٤م) (٤٤).

واحاز الخليفة مروان بن محمد (١٢٧-١٣٢هـ/٧٤٥-٧٥٠م)، الى القبائل القيسية (٤٥)، وآثرهم بالعطاء ولم يفرض لسواهم اذ فرض لسنة وعشرين ألفاً منهم (٤٦)، وسرت هذه السياسة على بقية الامصار، اذ أصطفى والي خراسان نصر بن سيار (١٢٠-١٣٢هـ/٧٣٨-٧٥٠م)، القبائل المضرية (٤٧)، وحرّم القبائل اليمانية من العطاء (٤٨)، ولم تقتصر هذه السياسة على التمايز القبلي بل شملت التمايز الإقليمي، اذ أنقص معاوية عطاء أهل العراق عقوبة لهم على موقفهم المعارض (٤٩)، وكان الامام الحسن بن علي (ع) قد طمأن القبائل في العراق بقوله ((أني اخذت لكم على معاوية عهد الله وميثاقه أن يعدل بكم ويوفر فيئكم عليكم)) (٥٠)، الا ان معاوية أستولى على ارض الصوافي في العراق، ولم تعد تابعة للمحررين، و صار واردها يحمل كل سنة الى دمشق (٥١)، كما أستأثر بفضول بيت المال (٥٢)، ففي رسالة بعث بها مقاتلة العراق الى الامام الحسين (ع)، ذكروا فيها ان معاوية ((أنترى على هذه الامة فأبترزها أمرها وغصبها فيئها وجعل مال الله دولة بين جبابرتها وأغنيائها)) (٥٣).

استناداً الى هذه فقد اعتمد العطاء وسيلة للسيطرة على الجماعات المناوئة وفرض الولاء عليها، بينما كان عطاء جند الشام يتراوح بين ثلاثمائة الى الفي درهم (٥٤)، فقد أنقص عطاء مقاتلة العراق الى مائتين درهم (٥٥)، أستقطع منه معاوية الزكاة، وهو أمر لم يعرف من قبل (٥٦).

واستمر الضغط الاقتصادي على اهل العراق ومقاتلتهم بهدف فرض الولاء والطاعة للخلافة، اذ في محاولة لتطويق ثورة عبد الرحمن بن الاشعث سنة (٨١هـ/٧٠٠م) (٥٧)، عرض الخليفة عبد الملك بن مروان على اهل العراق مقابل تراجعهم عن مشاركتهم بالثورة بأن يجري عليهم أعطياتهم، وأعطيات ذراريهم كما تجري على أهل الشام (٥٨)، إلا ان والي العراق الحجاج بن يوسف قطع العطاء عن الذين اشتركوا في هذه الثورة لمدة سنتين (٥٩)، وكذلك فعل والي العراق يوسف بن عمر الثقفي بقطع العطاء عن أهل العراق لتأييدهم ثورة الامام زيد بن علي (ع) سنة (١٢٢هـ/٨٣٩م) (٦٠).

أما أهل الحجاز فقد شملوا بالحرمان وقطع عنهم العطاء، عقاباً لهم عن مواقفهم المعارضة للخلافة الأموية منذ قيامها . إذ عاقب معاوية ، الأنصار من أهل المدينة المنورة، بقطع العطاء عنهم، بسبب مساندتهم للأمام علي (ع) (٦١)، واستمر ذلك في عهود من أعقبه، فقد أشار الخليفة عبد الملك، في رده على طلب ابن شهاب الزهري الذي قدم من المدينة المنورة الى الشام مطالباً الخليفة بعطائه بقوله ((أن بلدك، لبلد ما فرضنا فيها لأحد منذ كان هذا الأمر)) (٦٢)، وأمر الخليفة هشام بن عبد الملك بقطع عطاء أهل مكة والمدينة عقاباً لهم على موالاتهم لثورة الامام زيد بن علي (ع) (٦٣)، عقاباً لأهل مصر، لمعارضتهم الخلافة والثورة على واليها، مر الخليفة مروان بن محمد بقطع العطاء عنهم (٦٤).

لم يقتصر الأمر على العقاب الجماعي، بل شمل الافراد بالحرمان من العطاء عقوبة لهم عن مواقفهم المعارضة للخلافة. إذ أقسم الخليفة عبد الملك بن مروان على حرمان عبدالله بن قيس الرقيات من العطاء، لتأييده ثورة عبدالله بن الزبير، وتهجمه على الخلافة (٦٥)، كما قطع العطاء عن ابن سيرين والحسن البصري، لمواقفهما المعارضة (٦٦)، كما طال العقاب الأسر التي ينتمي اليها المعارضون، إذ يذكر ان رجلاً دخل على الحجاج قائلاً له ((إني موسوم بالميل مشهور بالطاعة، خرج أخي مع ابن الأشعث، فحلق على أسمى وحرمت عطائي وهدم منزلي)) (٦٧)، وحرّم الخليفة عبد الملك عشائر بكر وتميم من العطاء، ولم يفرض لهم في الديوان، لعدم ولائهم، ولأن رأيهم رأى الخوارج، كثير شرهم، كما وصفهم الخليفة (٦٨)، ولذات الأسباب أمر الخليفة الوليد بن عبد الملك بعزل والي المدينة محمد بن عمرو بن حزم واوز بمصادرة أمواله وأسرته، واسقطهم من الديوان وحرّمهم من العطاء (٦٩)، لموالاته لثورة عبدالله بن الزبير (٧٠).

فضلاً عن ذلك فإن الخلفاء الامويين حرموا المهاجرين الجدد الى الأمصار الإسلامية من التسجيل في الديوان والعطاء، إذ كان العرب المهاجرين من الجزيرة العربية الى الأمصار في العهد الراشدي يسجلون في الديوان الجند، ويفرض لهم العطاء والأرزاق (٧١)، وهذا مآثر المهاجرون الجدد (٧٢)، حتى خلافة عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ / ٧١٧-٧١٩م)، الذي أرسل ولاته على الأمصار بقوله ((وأما الهجرة فأنا نفتحها لمن هاجر من أعرابي، فباع ماشيته وانتقل من دار أعرابيته الى دار الهجرة والى قتال عدونا، فمن فعل ذلك فله أسوة المهاجرين فيما أفاء الله عليهم)) (٧٢)، إلا أن ذلك خص الذين يلتحقون بالجيش خلافاً لما تعارف عليه في العصر الراشدي، إذ شمل بالعطاء المقاتلة والذرية، والصغير والكبير (٧٣)، واتبع الامويون سياسة الفرض في الديوان عند الحاجة (٧٤)، أي لمواجهة ثورة داخلية، او توجيه جيش لمهمة خارجية (٧٥)، واستناداً الى ذلك تناقض اعداد المقاتلة المسجلين في الديوان في مختلف الأمصار الإسلامية ، وما زاد من تفاقم الأزقة الاقتصادية للعرب المستقرين في الأمصار والمقاتلة منهم، ان الخلافة الاموية خالفت السوابق التاريخية منذ أن وضع الخليفة عمر بن الخطاب

(رض)، الديوان وفرض للمسلمين العطاء سنة(١٥هـ/٦٣٦م)، لم تعد تفرض لذراري المقاتلة اذ قطع ذلك كله إلا عمن شاءوا (٧٦).

كان لهذه المتغيرات انعكاساً على مجمل الأوضاع العسكرية والاقتصادية والسياسية، فعلى المستوى العسكري أظهر المقاتلة العزوف عن القتال والعصيان العسكري، فقد أجبر معاوية مقاتلة الكوفة على قتال الخوارج بقوله ((الا أمان لكم عندي حتى تكفوا بوائقكم))(٧٧)، وفي البصرة تقاعس مقاتلتها عن الخروج لمواجهة قريب وزحاف الخارجيان حتى هدهم واليها زياد بن أبيه بقوله ((يا أهل البصرة ما هذا الذي قد اشمتمت عليه، إني أعطي الله عهداً لا يخرج عليّ خارجي بعدها، فأدع من حيه وقبيلته احداً فأكفوني بوائقكم)) (٧٨).

ولتطويق هذه التداعيات بما لها من تأثير على سياسة الخلافة على الصعيدين الداخلي والخارجي، فقد تطورت العقوبات بحق المتخلفين عن الالتحاق بالجيش، اذ كانت عقوبة ذلك في العهد الراشدي، نزع عمامة المتخلف ويقام للناس ويشهر أمره(٧٩)، ولشيوخ هذه الظاهرة في العصر الأموي، اتخذت إجراءات شديدة بحق المتخلفين، اذ كان والي العراق بشر بن مروان، اذا ظفر بالعاصي سمر كفيه في الحائط الى يموت(٨٠)، تطور في ذلك في ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي الى حد ضرب الاعناق (٨١). إلا ان هذه الإجراءات اغفلت الأسباب الحقيقية لهذه الظاهرة، لذلك لم تفلح في بعث الروح العسكرية، فكان المقاتلة يخرجون خوفاً من العقوبة، وكأنهم يساقون الى الموت (٨٢).

لذلك تعرضت هذه الجيوش للتمرد وهزائم متكررة اذ لم يتمكن الذي جهزه الحجاج وبلغ تعداده خمسين الف مقاتل من مواجهة ستمائه من الخوارج (٨٣)، ومنى الجيش الإسلامي بقيادة عبدالله بن أبي بكره في سجستان سنة (٧٨هـ/٦٩٧م)، بالهزيمة (٨٤)، فضلاً عن ذلك فقد تراجع الجيش الذي أرسله الحجاج بن يوسف بقيادة عبدالرحمن بن الأشعث سنة(٨١هـ/ ٧٠٠م)، عن مواجهة ملك سجستان، وعلن التمرد والثورة على الخلافة (٨٥)، واضطربت الأوضاع في مناطق الديلم والاكراذ (٨٦).

إزاء هذه الأوضاع لم تسعى الخلافة الى تغيير سياستها المالية تجاه المقاتلة علاجاً لحالات التقاعس والتمرد، بل عززت اختصاصها اعتمادها على مقاتلة الشام، ولهذا الغرض بنى الحجاج مدينة واسط لتكون قاعدة لهم (٨٧)، فضلاً عن ذلك فقد سعت الخلافة الى تنويع التركيبة القومية للجيش وذلك من خلال تجنيد العناصر غير العربية والفرض في الديوان، فقد جند معاوية بن أبي سفيان قوماً من فرس بعلبك وحمص وانطاكيا ، فضلاً عن أساورة البصرة والكوفة، وارسلهم الى سواحل الأردن(٨٨)، وشاركوا في قتال الخوارج (٨٩)، وسجل ديوان خراسان عشرون ألفاً من الموالى الفرس (٩٠)، كما التحق البربر بالجيش الربي الإسلامي خلال تحرير شمال أفريقيا والأندلس، إذ الحق عقبة بن نافع في برقه، جميع البربر الذين اعتنقوا الإسلام بالجيش (٩١)، وكان جيش إسماعيل بن عبدالله بن المهاجر عند ولايته على المغرب سنة (٥٥هـ/٦٧٤م) معظمه من غير العرب (٩٢)، واستمر ولاية المغرب المتعاقبين

تجنيد البربر (٩٣)، وكانوا في طليعة الجيش الذي قادة طارق بن زياد لتحرير الاندلس سنة (٩٢هـ/٧١١م)، الذي بلغ تعداداه اثني عشر الف مقاتل من مختلف قبائل البربر (٩٤)، وبدأت الخلافة الأموية بتجنيد العناصر التركية بعد توغل الجيش الإسلامي في بلاد ما وراء النهر، ونظر لمواصفاتهم القتالية فقد أستخدمهم القادة والولاة ضمن الجيش وفرض لهم الديوان ثم جلبوا الى الامصار، فقد جلب عبيدالله بن زياد الفي شخص من اترك بخارى واسكنهم البصرة وسموا ببخارية زياد (٩٥)، وكان في جيش نصير بن سيار، والي خراسان، عشرون الف من بخارى وسمرقند و اشرف سنة (٩٦).

لاشك ان التوسع في تجنيد العناصر من غير العرب ترجع مسوغاته الى السياسة والاقتصاد التي مارسها الخلافة تجاه العناصر العربية وكرد فعل على مواقفها السياسية، فأدى إنقاص عطائهم وحقوقهم في الفيء وعدم تسجيل ذرايعهم والوافدين الى الامصار في الديوان، الى عزوفهم عن القتال والتسجيل في الديوان لقلة مردوده الاقتصادي، واللجوء الى ممارسة المهن (٩٧).

كان لهذه السياسة انعكاساً على موقف المقاتلة خاصة والعرب عامة، فقدوا الثقة بالخلافة، ونظروا اليها بعين الحقد الى الدولة التي حرمتهم (٩٨)، وقد عدوا أن فيء الأرض المفتوحة حق قررته لهم السوابق التاريخية منذ عهد عمر بن الخطاب (رض) (٩٩).

لهذه الأسباب أصبحت هذه الفئات المحرومة مادة لكل حركات المعارضة التي بذلت لها الوعود بتسجيلهم في الديوان وزيادة عطائهم، وقسمة الفيء ومشاركة الجميع فيه، اذ خاطب عبدالله بن الزبير اهل العراق بقوله ((أن أمير المؤمنين بعثني على مصركم، وأمرني بجباية فيكم، والا أحمل فضل فيكم إلا برضاكم)) (١٠٠)، وكان مصعب بن الزبير يعطي اهل العراق عطاءين في السنة، عطاء في الشتاء وعطاء في الصيف، فأحبه الناس حباً شديداً (١٠١)، واستهدف الأمام زيد بن علي في ثورته (٢١هـ/٧٣٨م)، ((الدفع عن أهله)) (١٠٢)، وبائع المحرومون من العطاء عبدالله بن معاوية عند اعلان ثورته في الكوفة سنة (١٢٧هـ/٧٤٤م)، اذ توافد عليه أهل السواد والمدائن والكوفة (١٠٣)، واستقطبت الدعوة العباسية الفئات المحرومة من الديوان بدعوتهم ((إنصاف المظلومين من الظالمين، وقسم الفيء بالسوية)) (١٠٤)، فأصبحت القبائل اليمانية مادة للثورة، نتيجة تحيز الخليفة مروان بن محمد للقبائل القيسية (١٠٥).

وعند اعلان الثورة في خراسان سنة (١٢٩هـ/٧٤٦م) توافدت قرى خراسان معلنين انضمامهم لها (١٠٦)، ولاقى جيش الثورة العباسية بقيادة قحطبة بن شبيب الطائي عند دخوله العراق، دعم الفئات المحرومة من العرب المستقرين في سواد الكوفة والبصرة (١٠٧)، وفرض لهم ولأهل الانبار والمدائن في الديوان (١٠٨)،

واستناداً إلى هذه الانعكاسات التي أفرزتها سياسة الخلافة الاقتصادية مستهدفة فرض الولاء والطاعة على الاتجاهات والمعارضة، أتاح لهذه القوى استثمار عدم الثقة والرضا في صفوف هذه الفئات، ما أتاح لها تجنيدها وتسخيرها في إسقاط الخلافة الأموية.

الخاتمة

مما تقدم لاحظنا أن الخلافة الأموية لم تحقق من خلال سياستها الاقتصادية من فرض الولاء والطاعة على الاتجاهات المعارضة لها ، بل عمقت نظرة الحقد والنفور في نفوس ومواقف العرب المسلمين ، الذين اعتبروها سالبة لحقهم في موارد الدولة التي قررت لهم منذ عهد الرسول (ص) وخلفائه من بعده، لذلك ناصروا كل الثورات المعارضة، التي بذلت لهم وعدداً بتسجيل المحرومين من الديوان، وزيادة العطاء، وتقسيم الفيء بينهم بالسوية ، وقد انهكت هذه الثورات قوى الخلافة، وتقهقرت جيوشها أمام جموعهم التي أنضوت ضمن الجيش العباسي الذي قضى عليها.

الهوامش

- ١- ابن طباطبا : الفخري في الاداب السلطانية ، ص ٦٨ .
- ٢- الكتاني : التراتيب، ص ٢٢٧ .
- ٣- العلي : العطاء في الحجاز، ص ٣٧ .
- ٤- ابو عبيد : الاموال، ص ٣٤٤ .
- ٥- ابن سعد: الطبقات، ٣ / ١٣٧ .
- ٦- الطبري : تاريخ الرسل، ٣ / ٦١٨ .
- ٧- أبو يوسف: الخراج، ص ٤٤ .
- ٨- ابن سلام : الأموال، ص ٣٧٤ .
- ٩- المصدر نفسه ، ص ٣٥٥-٣٥٦ .
- ١٠- البلاذري : فتوح البلدان، ص ٥٦٠ .
- ١١- الطبري : تاريخ الرسل، ٤ / ١١٢ .
- ١٢- ابن سعد: الطبقات، ٣ / ٢١٣ .
- ١٣- أبو يوسف : الخراج، ص ٤٦ .
- ١٤- ابن سلام : الأموال ، ص ٣٥١-٣٥٢؛ البلاذري: فتوح ، ص ٧٦ .
- ١٥- اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي، ٢ / ١٧٧؛ البلاذري: فتوح، ٢٥٢ .
- ١٦- الطبري : تاريخ ، ٤ / ٢٤٢ .
- ١٧- المصدر نفسه، ٤ / ٢٤٥ .
- ١٨- الدوري : المقدمة، ص ٦٦ .
- ١٩- الطبري: تاريخ، ٤ / ٢٨١ .

- ٢٠- عبد العزيز الدوري : في التنظيم الاقتصادي، ص ٧٩.
- ٢١- ابن سعد الطبقات ، ٦٦/٣.
- ٢٢- المصدر نفسه ، ٧١ / ٣.
- ٢٣- ابن الزبير : نسب قریش، ص ١٠١.
- ٢٤- ابن اعثم الكوفي: كتاب الفتوح، ٢/٢٤٦.
- ٢٥- الطبري : تاريخ ، ٤٢٨/٤.
- ٢٦- اليعقوبي: تاريخ، ١٨٣/٢.
- ٢٧- ابن سلام : الأموال ، ٢٧٠.
- ٢٨- ابن قتيبة : الامامة ، ١٥٠/١.
- ٢٩- الأصفهاني : مقاتل الطالبين ، ص ٢٩-٣٠.
- ٣٠- الطبري : تاريخ ، ١٥٨ / ٥.
- ٣١- المسعودي : المروج ، ٤/٣.
- ٣٢- الاصفهاني : مقاتل الطالبين ، ص ٥٥.
- ٣٣- خليفة بن خياط : ١٨٧/١.
- ٣٤- ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ٤ / ٣٦١.
- ٣٥- الدينوري : الاخبار الطوال ، ص ٢٢١.
- ٣٦- المسعودي : مروج الذهب ، ٣ / ١٣.
- ٣٧- اليعقوبي : تاريخ ، ٢ / ٢١٧.
- ٣٨- القاضي عبدالجبار احمد : فضل الاعتزال، ص ١٤٣.
- ٣٩- الطبري: تاريخ ، ٥ / ١٦٦، ٢١٦، ١٩٠.
- ٤٠- الجاحظ : التاج، ص ٥٧.
- ٤١- المسعودي : مروج الذهب ، ٣ / ٩٥.
- ٤٢- الدينوري : الاخبار الطوال ، ص ٣٦٨.
- ٤٣- الطبري : تاريخ الرسل ، ٧ / ٢٣٣-٢٣٤.
- ٤٤- الازدي : تاريخ الموصل ، ص ٦١.
- ٤٥- خليفة بن خياط : تاريخ ، ٥٦٤/٢.
- ٤٦- مؤلف مجهول : تاريخ الخلفاء ، ص ٤٦٤.
- ٤٧- المصدر نفسه : ص ٤٦٤.
- ٤٨- الدوري : المقدمة ، ص ٧٤.
- ٤٩- مؤلف مجهول : تاريخ الخلفاء ، ص ٤٦٤.
- ٥٠- اليعقوبي : تاريخ، ٢ / ٢٣٣.
- ٥١- الجاحظ : رسائل ، ١١/٢.
- ٥٢- الطبري : تاريخ الرسل ، ٥ / ٣٥٢.
- ٥٣- البلاذري : انساب ، ٣٥٤/٥ ؛ الطبري : تاريخ الرسل ، ٥ / ٢٢٣.

- ٥٤- أبو تمام : نقائض ، ص ٢١١-٢١٢.
- ٥٥- البيهقي : تاريخ ، ٢ / ٢٣٢.
- ٥٦- المصدر نفسه ، ٢ / ٢٣٢.
- ٥٧- الطبري : تاريخ الرسل ، ٦ / ٣٣٥-٣٣٦.
- ٥٨- البلاذري : انساب ، ٥ / ٢٨٠.
- ٥٩- النويري : نهاية الارب ، ٢١ / ٢١٤.
- ٦٠- ابن سعد : الطبقات ، ٥ / ٣٢٦.
- ٦١- الخطيب البغدادي : تاريخ ، ١ / ١٧٦.
- ٦٢- الفسوي : المعرفة ، ١ / ٦٢٨.
- ٦٣- الاصفهاني : الأغاني ، ٦ / ١٠٨.
- ٦٤- الطبري : تاريخ ، ٦ / ٣٤٧.
- ٦٥- ابن قتيبه ، عيون ، ١ / ١٠٣.
- ٦٦- الفسوي : المعرفة ، ٢ / ٢٥٦.
- ٦٧- ابن عساكر : تهذيب ، ٤ / ٦١.
- ٦٨- البلاذري : انساب ، ٦ / ٢٤٠.
- ٦٩- ابن اعثم الكوفي : الفتوح ، ٨ / ١٢٤.
- ٧٠- الاصفهاني : الأغاني ، ٦ / ١٠٨.
- ٧١- ابن قتيبه : عيون الاخبار ، ١ / ١٠٣.
- ٧٢- البسوي ، البدء ، ٢ / ٢٥٦.
- ٧٣- ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ٥ / ١٥.
- ٧٤- ابن اعثم الكوفي : الفتوح ، ٧ / ٨٤-٨٥.
- ٧٥- الاصفهاني : الأغاني ، ١ / ١٣.
- ٧٦- ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ٥ / ١١.
- ٧٧- الكندي : الولاة ، ص ١٩٤.
- ٧٨- الدوري : التنظيم الاقتصادي ، ص ٤٨.
- ٧٩- ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٩٥.
- ٨٠- ابن وهب الكاتب : البرهان ، ص ٣٨٨.
- ٨١- الطبري : تاريخ الرسل ، ٦ / ٢٢٢.
- ٨٢- المصدر نفسه ، ٦ / ٢٣٦.
- ٨٣- البلاذري : فتوح ، ص ٥٢٧.
- ٨٤- المصدر نفسه ، ص ٥٦٢.
- ٨٥- الطبري : تاريخ الرسل ، ٥ / ١٦٦.
- ٨٦- البيهقي : تاريخ ، ٢ / ٢٣٢.
- ٨٧- القالي : الامالي ، ٢ / ٣٠.

- ٨٨- ابن أبي حديد : شرح نهج البلاغة ، ٤ / ١٨١ .
- ٨٩- الطبري : تاريخ الرسل ، ٦ / ٢٠٧ - ٢١٠ .
- ٩٠- الطبري : تاريخ ، ٦ / ٢٣٦ .
- ٩١- خليفة بن خياط : تاريخ ، ١ / ٢٧٤ .
- ٩٢- الطبري : تاريخ ، ٦ / ٣٢٢ - ٣٢٤ .
- ٩٣- الطبري : تاريخ ، ٦ / ٣٣٥ - ٣٣٦ .
- ٩٤- البلاذري : فتوح ، ص ٣٩٧ .
- ٩٥- البلاذري : فتوح ، ص ٤٦٣ .
- ٩٦- الطبري : تاريخ الرسل ، ٧ / ١٧٤ .
- ٩٧- ابن سعد : الطبقات ، ٦ / ١١١ .
- ٩٨- الطبري : تاريخ الرسل ، ٧ / ٤٢٦ - ٤٢٧ .
- ٩٩- ابن سلام : الأموال ، ص ٢٥ .
- ١٠٠- ابن اعثم الكوفي : الفتوح ، ٦ / ١٤٦ .
- ١٠١- البلاذري : انساب ، ٥ / ٢٨٠ .
- ١٠٢- المصدر نفسه ، ٣ / ٢٣٧ .
- ١٠٣- خليفة بن خياط ، تاريخ ، ٢ / ٥٦٧ .
- ١٠٤- الزمخشري : ربيع الابرار ، ٤ / ٢٣٤ .
- ١٠٥- الازدي: تاريخ الموصل، ص ١٢٤ .
- ١٠٦- الطبري: تاريخ، ٧ / ٣٥٥ - ٣٥٦ .
- ١٠٧- مجهول : اخبار الدولة ، ص ٣٣٥ .
- ١٠٨- المصدر نفسه ، ص ٣٦٦ - ٣٧٧ .

المصادر

- الازدي : يزيد بن محمد بن الياس (ت ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م)
- ١- تاريخ الموصل ، تحقيق : علي حبيبه (القاهرة ، مؤسسة التحرير ، ١٩٦٧)
- الاصفهاني : علي بن الحسين (ت ٣٥٦ هـ / ٩٦٦ م)
- ٢- مقاتل الطالبين ، تحقيق : احمد صقر (القاهرة ، دار الاحياء الكتب ، ١٩٤٩)
- ابن أبي حديد : عز الدين بن هبة الله بن محمد (ت ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م)
- ٣- شرح نهج البلاغة ، تحقيق : محمد أبو الفضل (القاهرة ، دار احياء الكتب ، ١٩٥٩)
- ابن اعثم : احمد بن أعثم الكوفي (ت ٣١٤ هـ / ٩٢٦ م)
- ٤- كتاب الفتوح ، (الهند ، حيدر آباد الدكن ، ١٩٦٩)
- الفسوي : يعقوب بن سليمان (ت ٢٧٧ هـ / ٨٩٠)
- ٥- المعرفة والتاريخ ، تحقيق : اكرم ضياء العمري (بيروت ، دار الارشاد ، ١٩٧٤)
- البلاذري : احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م)

- ٦- انسبب الاشراف ، تحقيق : محمد باقر المحمودي (بيروت ، دار التعاون ، ١٩٧٤)
- ٧- فتوح البلدان ، تحقيق : صلاح الدين المنجد (القاهرة ، مكتبة النهضة ، ١٩٥٦)
- أبو تمام : حبيب بن أوس الطائي (ت ٢٣١هـ / ٨٤٥م)
- ٨- نقائض جرير والفرزدق ، تحقيق : أنطوان صالح (بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٢٢)
- الجاحظ : عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ / ٨٦٨م)
- ٩- رسائل الجاحظ ، تحقيق : عبدالسلام محمد هارون (القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٩٦٤)
- الخطيب البغدادي : احمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م)
- ١٠- تاريخ بغداد (بيروت ، دار الكتاب العربي ، د.ت)
- خليفة بن خياط : أبو عمرو خليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ / ٨٥٤م)
- ١١- تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق : اكرم ضياء العمري (النجف ، مطبعة الآداب ، ١٩٦٧)
- الزبير : مصعب بن عبد الله (ت ٢٣٦هـ / ٨٥٠م)
- ١٢- نسب قریش ، تحقيق : ليفي بروفنسال (القاهرة ، ١٩٥٣)
- الزمخشري : محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ / ١١٤٣م)
- ١٣- ربيع الابرار ونصوص الاخبار ، تحقيق : سليم النعيمي (بغداد ، مطبعة العاني ، ١٩٧٦)
- ابن سعد : محمد بن منيع البصري (ت ٢٣٠هـ / ٨٤٤م)
- ١٤- الطبقات الكبرى (بيروت ، دار صادر ، ١٩٧٥)
- ابن سلام : أبو عبيد القاسم (ت ٢٤٤هـ / ٨٥٨م)
- ١٥- كتاب الأموال ، تصحيح محمد حامد الفقي (القاهرة ، ١٩٣٤)
- ابن طباطبا : فخري الدين محمد بن علي (ت ٧٠٤هـ / ١٣٠٩م)
- ١٦- الفخري في الآداب السلطانية (بيروت ، دار صادر ، ١٩٦٥)
- الطبري : محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م)
- ١٧- تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٠-١٩٦٩)
- ابن عبد الحكم : عبدالرحمن بن عبدالله (ت ٢٥٧هـ / ٨٧٠م)
- ١٨- فتوح مصر وأخبارها (لندن ، مطبعة بريل ، ١٩٣٠)
- ابن عبد ربه : احمد بن محمد الاندلسي (ت ٣٢٨هـ / ٩٣٩م)
- ١٩- العقد الفريد ، تحقيق : احمد امين وآخرون (القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة ، ١٩٦٥)
- ابن عذاري : أبو محمد عبدالله بن المراكشي (عاش أواخر القرن السابع الهجري)
- ٢٠- البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب ، تحقيق : ج ، س كولان ، وليفي بروفنسال ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٨٤٨)
- ابن عساكر : علي بن الحسين (ت ٥٧١هـ / ١١٧٥م)
- ٢١- تهذيب تاريخ دمشق (دمشق ، مطبعة روضة الشام ، ١٩٣١)
- القاضي عبد الجبار : عبد الجبار بن احمد (ت ٤١٥هـ / ١٠٢٤م)
- ٢٢- شرح الأصول الخمسة ، تحقيق : عبدالكريم عثمان (القاهرة ، مكتبة وهبه ، ١٤١٦)
- القالي : أبو علي إسماعيل بن القاسم (ت ٣٦٥هـ / ٩٦٦م)

- ٢٣- الأمالي (القاهرة ، دار الكتب ، د.ت)
- ابن قتيبة : عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩م)
- ٢٤- الإمامة والسياسة (القاهرة ، مطبعة الفتوح ، ١٣٣١هـ)
- ٢٥- عيون الاخبار (القاهرة ، دار الكتب المصرية ، ١٩٥٢)
- الكندي : محمد بن يوسف (ت ٣٥٠هـ / ٩٦١م)
- ٢٦- الولاة وكتاب القضاة ، تصحيح رفن كسن (بيروت ، مطبعة الإباء اليسوعيين ، ١٩٠٨)
- الكوفي : احمد بن أعثم (ت ٣١٤هـ / ٩٢٦م)
- ٢٧- الفتوح ، اعتناء محمد بن عبد المعيد خان (الهند ، حيدر آباد الدكن ، ١٩٦٨)
- المسعودي: علي بن الحسين (ت ٣٤٥هـ / ٩٥٦م)
- ٢٧- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد (القاهرة ، مطبعة)
- مؤلف مجهول (عاش في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي)
- ٢٨- اخبار الدولة العباسية وفيه اخبار العباس وولده ، تحقيق : عبد العزيز الدوري ، وعبد الجبار المطلبي (بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٧١)
- ابن وهب : إسحاق بن إبراهيم (عاش في القرن الرابع الهجري ، العاشر الميلادي)
- ٢٩- البرهان في وجوه البيان ، تحقيق : احمد مطلوب ، وخديجه الحديثي (بغداد ، ١٩٦٧)
- النويري : احمد بن عبد الوهاب (ت ٧٢٢هـ / ١٣٢٢م)
- ٣٠- نهاية الارب في فنون الادب (القاهرة ، دار الكتب المصرية ، ١٩٣١)
- اليعقوبي : احمد بن ابي يعقوب (ت ٢٨٤هـ / ٨٩٧م)
- ٣١- تاريخ اليعقوبي (بيروت ، دار صادر ، ١٩٦٠)
- أبو يوسف : يعقوب بن إبراهيم (ت ١٨٢هـ / ٩٧٨م)
- ٣٢- الخراج (القاهرة ، المطبعة السلفية ، ١٣٨٠هـ)

المراجع

- الدوري : عبدالعزيز
- ١- مقدمة في تاريخ صدر الإسلام (بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٦٠)
- ٢- ((في التنظيم الاقتصادي في صدر الإسلام ، مجلة العلوم الاجتماعية (الكويت ، ١٩٨١)
- الكتاني : محمد عبد الحي
- ٣- التراثيب الإدارية (بيروت ، ١٩٦٦)
- لسترانج : كي
- ٤- بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة بشير فرنسيس ، وكوركيس عواد (بغداد ، مطبعة الرابعة ، ١٩٥٤).